اللغة العربية في الهند: فن وابتكار

د. رحمة بنت أحمد الحاج عثمان(*)
أ. باصرون عبد الله

الملخص

يتفرد الأدب العربيّ عن غيره من الآداب في اللغات الأخرى بعدة خصائص، فعالمية اللّغة العربية، وتنوّع خلفيات الأدباء والباحثين المهتمين بالأدب العربيّ واحدة من أبرز خصائص الأدب العربيّ. يجد المتتبع لتاريخ الأدب العربيّ وحقيقته أن بصمات غير العرب تركت صبغةً قوية على اللغة العربية، أدباً وفنًا. وهذا بمجمله ليوحي بسر كبير تنطوي عليه اللغة العربية في طبيعة تكوينها؛ يتعدى التبني الديني لها. ويقف المتتبع لحركة تطور الأدب العربيّ على أن من أهم حقول الأدب العربيّ المعاصر ما عُرف بـــ: "أدب المهجر". هذا، وإن الأدب العربيّ الناتج عن أدباء وكُتّاب غير عرب، ليستحق التنبه له ولفت النظر إليه من هذا الباب. فلئن تميز أدب المهجر بإبراز جمال الأدب العربيّ ووجوهه من أدباء عرب مهاجرين، فإن الأدب العربيّ الناتج عن أدباء غير العرب، امتاز بإبراز جملة من خصائصه ووجوه فنونه. لذا؛ يسعى هذا

(*) قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا.

البحث إلى إلقاء الضوء على الأدب العربيّ خارج أرضه وكُتّابه، وعلاقة اللغة العربية بالهند، وما تفرّد به الأدب العربيّ من خصائص. وعليه؛ فقد تمّ تقسيم البحث إلى أربعة فصول رئيسة، وهي: "الهند واللغة العربية" في الفصل الأول. وتناول الفصل الثاني: "النثر الفني في الهند"، كما درس الفصل الثالث: "الشعر والشعراء في الهند"، وكان الفصل الأخير عن: "خصائص الأدب العربي وسماته في الهند". ووقف الباحثان على نتائج عديدة، وجملة من التوصيات؛ فمن أهم نتائج البحث: عالمية الأدب العربيّ الفريدة من نوعها. وتفنن أهل الهند في الابتكار والإضافة في الأدب العربيّ، وولع أهل الهند باللغة العربية وآدابها. إمكانية إضافة خصائص ومميزات على الأدب العربيّ التقليديّ. ومن أهم توصيات البحث مواصلة الدراسة في بيان الكثير من جزئيات البحث، بذل الجهود من أجل خلق فن أدبيّ جديد يسعى إلى إبراز جهود غير العرب في خدمة الأدب العربيّ.

المقدمة

لقد أصبح مصطلح "أدب المهجر" معروفًا لدى المتعلمين من الناس؛ إذ يطلق على نتاج هؤلاء الأدباء الذين رحلوا من سوريا ولبنان إلى الأمريكيتين، حيث يمتاز أدبهم بالأسلوب والعاطفة والأفكار، التي تستحق أن تكون منهجًا في هذه الدراسة الأدبية.

وكما كانت هناك هجرة إلى الغرب، فقد كانت هناك هجرة إلى الشرق، وهنا ينوّه الباحثان إلى سبب اختيارهما لموضوع "أدب المهجر الشرقي" خاصة، ذلك أن الدكتور محمد بن عبد الرحمن الربيع، أثار هذا الموضوع بطرحه لبعض الأسئلة، فكانت الأسئلة الأكثر ارتباطا بهذه الدراسة ما يلي:

1 – هل اتجه كل المهاجرين العرب إلى الأمريكيتين؟

2 – ألم تتجه طائفة أخرى إلى مهاجر أخرى؟

3 – لماذا يقصر اصطلاح "الأدب المهجري" على تلك الفئة وذلك المكان؟[1].

استجابة لهذه الأسئلة المثارة، عزم الباحثان أمرهما على مواجهة ذلك التحدي، والسعي الحثيث وراء البحث عن إجابة لتلك الأسئلة التي تستحق أن تكون موضع دراسة علمية مُنصِفة لأدباء المهجر الذين هاجروا إلى بعض المناطق الآسيوية، وقد كانت الهند مركزا رئيسا لهذه الدراسة؛ متكئين في ذلك على إيجاز تصنيف الهند بعدّها "مهجرا اتجه إليه بعض الأدباء العرب" كما اتجهوا إلى الأمريكيتين، حيث إنّ اللغة العربية في كلا البلدين –أمريكا والهند– لم تكن لغة التخاطب الرسمية بين أفراد مجتمعيهما.

يشكو هذا البحث من قلّة المصادر والمراجع المتعلقة بموضوعه؛ إذ لم تتوفر لدينا كتب ذات علاقة بما أنتجته الهند من الأدب العربيّ، مع اعتقادنا القوي بوجود مثل هذا الأدب هناك، لذا يرى الباحثان ضرورة تسجيل كل ما قيل في الأدب العربيّ في الهند معتمدين في ذلك كله على الملاحظة، واستنباط بعض الخصائص والسّمات من ذلك الأدب، وتسجيل ما يشكّل ميزة ظاهرة وعلامة فارقة في طبيعة هذا الأدب المهجري العربي في الهند، فقد اعتمد الباحثان في دراستهما هذه على منهجي الوصف والتحليل في الموضوع المتناول، وإن كان أكثره وصفا وجمعا ليفتح السُبل أمام الباحثَين، ويشقا طريقهما نحو الإلمام بالقضايا المتعلقة بأنواع أدب المهجر في مناطق آسيوية أخرى، والاهتمام بها بعدّها مواضيع دراسة مقبلة بإذن الله.

وعليه، فقد قُسِّم البحث إلى أربعة فصول رئيسة، هي:

الفصل الأول: "الهند واللغة العربية"، الفصل الثاني: "النثر الفني في الهند"، الفصل الثالث: "الشعر والشعراء في الهند"، وأخيرا: "خصائص الأدب العربي وسماته في الهند".

(1) www.maktoobblog.com

الهند واللغة العربية

أصبح الناس على يقين تام بأن اللغة العربية تنتشر بانتشار الإسلام، وإن كان هذا الانتشار متفاوتًا من بيئة إلى أخرى أو من بلد إلى آخر، فدخول الناس في الإسلام يدعوهم إلى تعلم العربية لتلاوة القرآن والاطلاع على سُنة رسولنا الكريم.

وإذا ما عُدنا إلى البيئة الهندية وطبيعتها، ستتبادر إلى أذهاننا مجموعة من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة علمية مدروسة نقطع فيها الشك باليقين، ومن ذلك تساؤلنا عن حال اللغة العربية، وشأنها بين اللغات الأخرى في البيئة الهندية، وهل كان انتشار الإسلام في هذه البيئات سببًا في انتشار اللغة العربية في أوساطها؟ وإذا كان ذلك كذلك، ففي أي زمن دخل الإسلام إلى ربوعها وما أثره فيها؟.

في عام "771هـ"، حدث أمرٌ يؤذن بحضور الإسلام إلى تخوم بلاد الهند؛ إذ أرسل الحجاج في هذه السنة حملة بقيادة محمد بن قاسم إلى السند عن طريق البحر، ففتح المسلمون إقليم السند، ثم ساروا شمالا إلى مدينة ملتان واستولوا عليها، ولكنهم لم يتقدموا أكثر من ذلك[2]، وشهدت الهند فتوحات متتابعة وغزوات مستمرة على بقاعها المتبقية، فحكمت هناك دول إسلامية غير عربية كثيرة، منها الدولة الغزنوية والغورية والخلجية والمغولية، فأخضعت سائر بلاد شبه القارة الهندية وحكومتها للإسلام حتى سنة 1857/1274 عندما نفى الإنجليز الإمبراطور.

ما يعنينا في ذلك السرد التاريخيّ نشوء اللغة العربية وانتشارها في الأراضي الهندية، فقد عُرِفَ مسلمو الهند قديمًا وحديثًا بالغيرة على الإسلام، والتعصب

(2) أبو الليل، محمد مرسي، 1965م، **الهند: تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها**، دار الاتحاد العربي للطباعة، د. ط، ص 115.

للعلوم الإسلامية العربية، ولم يزل شعارهم منذ عهدهم الأول العناية الكاملة باللّغة العربية، والتعصّب لها، وقد حافظوا عليها واستمروا باستعمالها لغة تأليف وتعليم، وبرز في تلك البيئة شعراء مفلقون[3].

وهذا يوحي لنا بأن اللّغة العربية لم تكن في يوم من الأيام لغة التخاطب على مستوى الشعب في الهند، ولكن علاقة أهلها بالعربية – كانت ولا تزال إلى يومنا هذا– علاقة حرص دائم، هدفها خدمة القرآن الكريم، والسنة الشريفة اللذين سُطِّرا بالحروف العربية.

قام أهل الهند بتأليف كتب بالعربية تتميز بمستوى عالٍ من الأناقة اللغوية والروعة الأدبية، وصبّوا اهتمامهم على علوم القرآن والسنة، وكل ما يتعلق بعلوم اللّغة العربية وآدابها، حيث استمرت عنايتهم بالأدب العربيّ على امتداد تاريخ الهند بعد بدء الفتوحات الإسلامية، فلم تكن عنايتهم تقليدية محضة، بل عناية متميزة بابتكار وسائل جديدة[4] تضمن لهم الحفاظ على اللغة العربية ونشرها، بإصدار مسلمي الهند صحفًا ومجلات عربية، نذكر منها:

مجلة "البيان" الشهرية التي تصدر من لكهنؤ، وصحيفة "الجامعة" الأسبوعية التي كانت تصدر من "كلكتا"، ومجلة "الضياء" الشهرية التي كانت تصدر عن ندوة العلماء في كهنؤ، ومجلة "البعث الإسلامي" التي كانت تصدر عن ندوة العلماء، وصحيفة "الرائد" الندوية الأسبوعية"، وجريدة "الكفاح" التي تصدرها جمعية علماء الهند من دهلي، وجريدة "الدعوة" التي تصدرها الجماعة الإسلامية، و"صوت الجامعة" التي تصدرها الجامعة السلفية ببناس، و"دعوة الحق" التي كانت تصدر عن دار العلوم بديوبند[5].

---

(3) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، 1407هـ–1987م، **المسلمون في الهند**، الهند: المجمع الإسلامي العلمي، ط 3، ص 45.

(4) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، 1408هـ – 1988م، **نظرات في الأدب**، دمشق: دار القلم، ط 1، ص 69، 70.

(5) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **المسلمون في الهند**، ص 46، 47.

لقد كانت هناك محاولة حثيثة من ندوة العلماء الأدبية[6] للارتقاء بشأن اللغة العربية وآدابها، وذلك بالدعوة إلى ضرورة استعراض المكتبة العربية من جديد، وغربلتها ونخلها وإثارة دفائنها وكنوزها، وإبراز محاسنها وبدائعها، والحث على ابتكار مناهج جديدة لتعليم الدين واللّغة العربية وآدابها في آن واحد؛ بيد أن هذه النشاطات العربية لم تلق انتشارًا خارج حدودها إلا قليلا، وكان ظهورها – فقط – على صعيد تلك الدول التي سادت فيها اللغة العربية بعدّها لغة ذات سلطة على شعبها فهم ينطقون بها.

جهل المسلمون العرب ثقافة إخوانهم في الهند فلم يدركوا مكانتهم وشأنهم. وفي العهد القريب، اطّلع بعض الباحثين العرب على التراث الهنديّ العربيّ الإسلاميّ، فأصابتهم الدهشة مما شهدته الهند من حركات علمية عربية في مختلف الميادين، وتزداد معرفة الناس بالهند -يوما بعد يوم-؛ إذ أثبتت الهندُ جدارتها في تخصصات عدة، وقد عزا عبد الباسط بدر شهرة الهند إلى ظهور محمد إقبال، حيث قال: "فلولا شهرة محمد إقبال العالمية التي فرضت نفسها على آداب كثيرة لما عرفنا شيئًا عن أدب الشعب المسلم في شبه القارة الهندية"[7].

افتخر العرب بالنتاجات الأدبية والدينية الغزيرة التي ابتدعها المهاجرون العرب من الشام وغيرها إلى الأمريكيتين، فهويتهم العربية ظلت ماثلة أمام أعينهم، محافظين عليها غير متهاونين فيها، تملؤهم العاطفة بحب تراثهم العربيّ أو الإسلاميّ.

وتقديرًا لجهودهم الفذّة، أصبحت المناهج الدراسية في البلدان العربية – من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية- متضمنةً نتاجاتهم الرفيعة، اعتزازًا بهم وتبجيلا لهم، لما قدموه من إفادة علمية وأدبية تستحق النظر إليها بعين الاعتبار والتقدير.

(6) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **نظرات في الأدب**، دمشق: دار القلم، ط 1.
(7) ينظر: تقديم عبد الباسط بدر لـ الندوي، **نظرات في الأدب**، ص 17.

وبعد، فلا ضير من إطلاق مصطلح "أدب المهجر الشرقي" على الأدب العربي في الهند، فقد تميز هذا الأدب بخصائص تؤهله لأن يكون بذات الدرجة العالية التي جاء عليها "أدب المهجر في الأمريكيتين، الشمالية والجنوبية"، فآثاره الأدبية والدينية واضحة المعالم للعامة من المتعلمين القادرين على التفريق بين جيد الأدب ورديئه.

مستشهدين، فيما أسلفنا، بأبي الحسن الندوي – رحمه الله – حينما قال: "وتدل الآثار والقرائن على تكوّن مدرسة أدبية خاصة فيها، في الأدب العربيّ والكتابة الإسلامية، تجمع بين البراعة الأدبية والإشراق الروحي، والإيمان العميق، والدعوة الصريحة القوية"[8].

لذلك كان الدافع الرئيس للباحثين في دراسة مثل هذا النوع من الأدب – شعره ونثره – المساهمة في تحطيم ظاهرة الاتكاء على الغير، وظاهرة الاعتماد الكلي على ما يستخلصه المستشرقون من دراستهم للأدب العربيّ، فما لنا لا نتذوق طعم إنجازات إخواننا المسلمين في الهند – من التراث العلمي الضخم – مباشرة دون تلاعب أو تحريف، محاولين في ذلك ترجمتها إلى أرض الواقع، عازمين الأمر على نشرها وفاءً لهم واعترافًا بجميلهم وإخلاصًا لهم على إخلاصهم، لما قدموه لنا من إفادة يحمدون عليها، وهذا ما أكده أبو الحسن الندوي عندما قال: "إن من الجفاء أن تبقى هذه البلاد الغنية برجالها وأعمالها وماضيها وحاضرها مجهولة عند أصدقائها في الخارج، مطمورة في صفحات التاريخ"[9].

النثر الفني في الهند

وجد الباحثان تنوّعًا كبيرًا في أنواع النثر الفني، فمن تلك الأنواع:

(8) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **المسلمون في الهند**، ص 62، 63.
(9) المرجع السابق، ص 8.

فن الخطابة، والمنتخبات الأدبية، وأدب الرسائل، والصنعة الأدبية، وشرح بعض القصائد، وأدب القصة، وكلام النثر المرسل من الكُتّاب المبدعين.

الخطابة

تعد الخطابة أثرًا من آثار الرقي الإنساني ومظهرًا من مظاهر التقدم الاجتماعيّ، ولهذا عُنِيَت بها جميع الشعوب، في كل العصور القديمة والحديثة، واتخذتها أداةً لتوجيه الجماعات، وإصلاح المجتمعات، فقد حبت يد الأقدار مسلمي الهند موهبة إتقان الخطابة والتألّق في اختيار أسلوبها اللافت للنظر، وما سنقدمه من نماذج دليل واضح على ذلك، فنذكر منها:

أولا: خطبة محمد بن أحمد بن علي البخاري الملقب بسلطان المشايخ ونظام الدين أولياء (1324/725)، ويذكر الباحثان إحدى خطبه المشهورة[10]:

"الحمد لله الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصلين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعًا، واخترعهم على مشيئته اختراعًا، وأنطق لسان الذاكرين بذكر لا إله إلا الله، وأودع مفاتيح الأنوار في صدور العالمين لا يعلمها إلا الله، وروح المشتاقين بروح اشتياق في مشاهدة جمال الله، وأهرق دم المحبين بسيف الجلال في بيداء وصاله، وأحرق قلب العاشقين بنار العشق في ابتغاء لقاء الله، وخلق الجنة والنار للمؤمنين والكفار ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فلو كانت الجنة نصيب العارفين بدون جماله ووصاله فوا ويلاه، ولو كانت النار نصيب المشتاقين مع جماله ووصاله فوا شوقاه".

إن الخطيب الحق هو الذي يأسر سامعَه بسلامة لغته، وعلوِّ بيانه، وجمالِ أدائه، وتناغم صوته مع مضمون كلامه، يعلو فيه ويجهر في مواضع الإنذار والوعيد، ويلين في مواضع اللين والتبشير حتى يمتزج بأجزاء النفس لطافةً،

(10) المرجع السابق، ص 222.

وبالنغم إيقاعًا وجرسًا، فهذا الجزء البسيط من الخطبة استهوانا لإكمال فحواها واستيعاب أفكارها، جاذبًا عقولنا نحو مضمونها الرائع.

ثانيا: خطبة الشاه ولي الله، ومن أحسن خطبه، تلك التي بدأها بقوله[11]:

"الحمد لله الذي خلق الإنسان وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا".

ثالثا: خطب عبد الحي

وله كتاب مسمى بـ: "اللطائف المستحسنة بجمع خطب شهور السنة"، وهو عبارة عن مجموعة من الخطب التي تشبه في أسلوبها وأناقة تأليفها ما جاء عليه كتاب "أطواق الذهب" للزمخشري، و"أطباق الذهب" لشرف الدين[12].

المنتخبات الأدبية

أولا: نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن[13]/ جمعه أحمد بن محمد اليمني (1840/1256)

يُعدّ هذا الكتاب متنًا مفيدًا في دراسة الأدب العربيّ، وقسّم المؤلف كتابه خمسة فصول: فقد خصص الفصل الأول: للقصص القصيرة والنوادر الأدبية؛ واشتمل الفصل الثاني على: مناظرات علمية، إحداها بين الورد والنرجس والثانية بين طبيب ومنجم؛ وفي الفصل الثالث: منتخبات شعرية تحتوي على كثير من القصائد المدحية ومنها قصيدة لشاعر الهند العظيم آزاد، وأورد في الفصل الرابع: أربع قصائد لامية، وأما الفصل الخامس فجمع فيه الحكم والأمثال[14].

(11) المرجع السابق، ص 222.
(12) المرجع السابق، ص 223.
(13) المرجع السابق، ص 224.
(14) المرجع السابق، ص 224.

ثانيا: رياض الفردوس[15]: قام بتأليفه محمد حسين خان الشاهجهاني (1859/1276). وقد قسمه ثلاث مقامات، يعنينا منها - في دراستنا - المقامة الأولى التي قسمها المؤلف إلى فصلين كبيرين، أولهما في الشعر، والآخر في النثر.

الرسائل

من أفضل الكتب التي تناولت موضوع الرسائل، كتاب "عجب العجاب فيما يفيد الكتاب"[16] لأحمد بن محمد اليمني، وقد قسّمه مؤلفه إلى ثلاثة أقسام رئيسة؛ احتوى القسم الأول فيه على: مراسلات رجال الأدب، وتضمن القسم الثاني: رسائل السلاطين والوزراء والقضاة، وأما القسم الأخير فقد جعله المؤلف في رسائل التجار، وفي الخاتمة جمع وافر لرسائل عائلية ويوميات تتناول الحياة العامة.

الصنعة الأدبية

وهي أحد الأنماط التي حاول الكُتّاب ابتداعها في مؤلفاتهم، حيث اعتمد الكاتب فيها على الحروف المنقوطة وغير المنقوطة. ومن نماذج هذا النمط:

أولا: "موارد الكلم وسلك درر الحكم" لأبي الفيض فيضي (1595/1004).

شاعر البلاط في قصر الملك أكبر المغولي، وقد برع بقول الشعر باللغة الفارسية، ولمع فيه، حيث استطاع أن يتفادى في كتابيه "سواطع الإلهام" والكتاب الذي بين أيدينا، الحروف المنقوطة، وسمّى عمله هذا "الصنعة المهملة"[17]. فبعد القراءة والاطلاع، وجد الباحثان أن الهند قد اهتمت كثيرًا بمثل هذا النوع من التصنع في الأدب، فقد مالت أهواء أدبائها نحو تأليف كتب كاملة تُمثّل الصنعة المهملة، نعرض منها[18]:

(15) المرجع السابق، ص 224.
(16) المرجع السابق، ص 235.
(17) المرجع السابق، ص 68.
(18) المرجع السابق، ص 227.

- كتاب محمد صديق اللاهوري (1778/1192) السيرة النبوية.
- تفسير صاحب زاده علي عباس خان سورة يوسف.
- "ردود غياثية"، الكتاب يقع في جزئين أحدهما: ناصر العشاق والكاتب لا يلتزم فيه الصنعة المهملة، والثاني: السلام والمعرا ويلتزم فيه الصنعة[19].

ومن النماذج التي جاءت في كتاب "موارد الكلام وسلك درر الحكم":

"هلّلوا وصلّوا وصوموا ودوروا حول الحرم مواسمه وأكملوا مع الإحرام مراسمه وأعطوا مالا مأمورًا للصعلوك في الإسلام"[20]، حيث نلاحظ أن هذا النص يخلو من الحروف المنقوطة تمامًا، وأشار فيه المؤلف إلى الأركان الخمسة في الإسلام.

ثانيا: المقامات الهندية/ للسيد أبي بكر بن محسن العلوي (1715/1128)

ألّف الكاتب كتابه هذا على غرار المقامات القديمة كمقامات الحريري بأسلوب سهل بسيط يتكون من خمسين مقامة، سمّى كل واحدة منها باسم مدينة هندية، مثل: المقامة السورتية والأحمدنكرية، واللاهورية[21].

ثالثا: المناقب الحيدرية، لأحمد بن محمد اليمني (1256هـ/1840م)

ألّف اليمني هذا الكتاب لغازي الدين، ملك أوده الذي أكرم ضيافته وأمده بالرعاية، ووضع الكتاب في ثمانية فصول؛ الفصل الأول: وصفُ رحمة الملك وحلمه، والثاني: وصفُ كرم الملك، والثالث: وصفُ اعتلائه العرش وشجاعته، والرابع: وصفُ تدينه وإيمانه وفصاحته، الخامس: وصفُ وزيره، السادس: وصفُ القصور الملكية، والسابع: وصفُ الحدائق الملكية، والثامن: وصفُ أعماله العظيمة.

(19) المرجع السايق، ص 227.
(20) المرجع السايق، ص 228.
(21) المرجع السابق، ص 229.

استخدم المؤلف في كتابه هذا "عنصر الوصف"، وذلك بتقديم قصيدة قصيرة جاءت على لسان الفيل الذي يبكي وينوح في الأيام العشرة الأولى من شهر المحرم كما يبكي الناس حزنًا على مقتل الحسين – رضي الله تعالى عنه –، ومما جاء فيها:

واحسينا واحسينا واحسين

إن كربي هاج فيما قد جرى في كربلا للحسين السيد المولى إمـام الأتقـيـا

من طغاة خالفوا أحكام خير الأنبيا وأذاقوا أهل بيت المصطفى مرّ العنا

آه من جور العــدا واحسينا واحسين

شتتوا شمل الهدى واحسينا واحسين

تحليل العمل الأدبيّ

ومن ذلك كتاب تناول شرح قصيدة "بانت سعاد" وعُرِفَ بـ "مصدّق الفضل" لشهاب الدين الدَّوْلَتَآبَادِي (1445/849)[22]، ومن أبرز علماء الهند المهتمين بهذا العمل عبد العزيز الميمني (1888/1306) ومن أعماله العلمية[23]:

– ديوان حميد بن ثور الهلالي، وهذا الديوان جمعه الميمني وأعاد بناءه.

– ديوان سحيم عبد بني الحسحاس، وقد حققه الميمني ونشرته دار الكتب المصرية، ثم أعيد طبعه في القاهرة سنة 1384هـ.

– الوحشيات، وهي الحماسة الصغرى لأبي تمام الطائي، وقد نشرت دار المعارف تحقيقه لهذا الكتاب في سلسلتها ذخائر العرب المعروفة سنة 1383هـ، وقد راجع العلامة محمود محمد شاكر هذا التحقيق وزاد في حواشيه.

(22) المرجع السابق، ص 233.

(23) http://www.islamonline.net.

– الفاضل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرّد، وتولت نشره دار الكتب المصرية، وهو ثالث الكتب التي حققها الميمني وقدّمها لدار الكتب لتقوم بطبعها بعد ديوان سحيم وديوان حميد بن ثور الهلال، وقد طبع في القاهرة سنة (1357هـ = 1955م).

– أبو العلاء وما إليه، فائت شعر أبي العلاء، ونشر هذا التحقيق في القاهرة سنة 1344هـ بالمطبعة السلفية.

– ومن تآليفه النافعة كتاب إقليد الخزانة، وهو فهرس للكتب الواردة في خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي، وقد طبعته جامعة البنجاب بالهند سنة 1927م.

القصة

ومثال هذا النوع الأدبي قصة خرافية تصور أول استيطان للمسلمين في مالابار في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث اعتنق بطل القصة الإسلام متأثرًا بمعجزة انشقاق القمر. والقصة تعرف بـ "قصة شَكْرُوتِي" واسم مؤلف القصة غير معروف، ولكنّ زبيد أحمد أكّد أنّ كاتب القصة هندي وأنّ لا شك في ذلك[24].

الإنشاء والكتابة

ويقصد الباحثان بهما ما جاء عن الكُتّاب المبدعين الذين تتميز كتاباتهم بجمال اللّغة ومتانة الأسلوب وبراعة العبارة، التي تستمال بها القلوب، ومن هؤلاء:

– محمود الجونفوري (1062هـ)

وله "الفرائد في شرح الفوائد"، وقد برع الكاتب في الإنشاء المرسل، والأسلوب العلميّ التحليليّ، وكان مبتعدًا عن السجع والتنميق الذي كان له سحر على أصحاب الصناعة الأدبية، والشادين باللغة العربية[25].

(24) المرجع السابق، ص 234.

(25) الندوي، أبو الحسن علي الحسني، **نظرات في الأدب**، ص 73.

- الشاه ولي الله الدهلوي (1176هـ)

له "حجة الله البالغة"، كتاب في موضوع أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع الإسلامي، وجاء الكتاب مثالا فريدًا لسلامة الذوق الأدبيّ، ونصاعة اللغة، وقوة العبارة وانسجامها، وبعدها عن السجع البارد، وتقليد أسلوب الحريري، بل يرى أبو الحسن الندوي أنه الأنموذج الثاني للنثر الطبعي السلسال، والتعبير العامر بعد مقدمة ابن خلدون[26].

- أبو الحسن الندوي (1999/1421)

أديب إسلامي عالمي، أديب في العربية وأديب في الأردية والفارسية، وله باع طويل في تاريخ الأدب الإسلامي، وكان الندوي من الأدباء الذين يجمعون في إنتاجاتهم الأدبية الأدب والفكرة والدعوة[27].

للندوي تصانيف كثيرة جدًا تجاوزت الـ (700) كتاب. تُرجم منها "177" كتابًا - باللغة العربية - إلى لغات مختلفة، ومن أشهر كتبه، كتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟"، ويرجع لأبي الحسن الندوي الفضل الكبير في تأسيس رابطة الأدب الإسلاميّ العالمية، حيث قدّم آراء تنظيرية فيما يخص الأدب الإسلاميّ، وهذا واضح في كتابه "نظرات في الأدب"؛ إذ بيّن فيه بعض المبادئ التي تتعلق بالأدب الإسلاميّ، ومفهوم الأدب وطبيعته، وآفاق الأدب الإسلامي، فضلا عن إضافته مصادر أخرى للتراث الأدبيّ العربيّ، وهي النصوص الأدبية الرائعة من كتب الحديث والسيرة والمغازي والتاريخ[28].

برع أبو الحسن الندوي - رحمه الله – في الارتجال باللغة العربية؛ إذ ساعدته لغته البليغة على إثراء نتاجه من الكتب النثرية؛ ولم يُذكر له أية كتابات شعرية.

(26) المرجع السابق، ص 74.

(27) المرجع السابق، ص 6، 8، 9.

(28) المرجع السابق، ص 11.

- العالم الأديب محمد اجتباء النَّدْوي (2008/1429)[29]

وهو من تلاميذ أبي الحسن الندوي وملازميه.

الشعر والشعراء في الهند

اجتذبت قصور الحكام في دِيْكَنْ وكُجَرَاتْ كثيرا من العلماء والشعراء العرب الذين تفاوتت جهودهم في البيئة الهندية ومناطقها، إلا أنه لم يصل إلينا إلا القليل من أسماء الشعراء، ولعل هذا يرجع إلى عدم الاهتمام بالشعر العربيّ في جنوب الهند، وفي الوقت نفسه لم يتلق الشعر أي تشجيع من بلاط الأسر الحاكمة في شمال الهند، لأن ملوك الهند المسلمين يتكلمون الفارسية، وعلى الرغم من ذلك فقد نشط الشعر في بلاد الهند، وقاله كثير من الهنود، غير أن الدراسات العربية لم تبدأ في الهند إلا بعد أن فقد الشعر سموه وبهاءه[30].

وعلى أية حال، سيحاول الباحثان جاهدين الإشارة إلى أولئك الشعراء القاطنين في الهند – على اختلاف أجناسهم- والحرص على الاستشهاد ببضعة نماذج من أشعارهم.

الأول: مسعود بن سعد بن سلمان اللاهوري (1121/515)

ولد في لاهور ونشأ فيها، قال الشعر بالهندية والفارسية والعربية، وله في كل منها ديوان، ولم يصل إلينا ديوانه العربي والهندي، وقد ذكر الوطواط في كتابه "حدائق السحر" عددًا من قصائد مسعود العربية، ومما استشهد به الوطواط[31]:

وليل كأن الشمس ضلت ممرها ... وليس لها نحو المشارق مرجع
نظرت إليه والظلام كأنه ... على العين غربان من الجو وقع
فقلت لنفس طال ليلي وليس لي ... من الهم منجاة وفي الصبر مفزع
أرى ذنب السرحان في الجو طالعا ... فهل ممكن أن الغزالة تطلع

(29) http://3andna.com/vb/f79.html

(30) أحمد، زبيد، **الآداب العربية في شبه القارة الهندية**، ص 236.

(31) المرجع السابق، ص 238.

الثاني: الأمير خُسْرَو الدهلوي (1324/725)

إلى جانب شهرته الذائعة في قول الشعر بالفارسية فقد نظم شعرا بالعربية أيضا، وأشعاره متفرقة في كتاباته، نذكر منها: "الإعجاز الخسروي"، و"خزائن الفتوح"، وقد ألف قصيدة كاملة بالعربية والفارسية في آن واحد بحيث أنشأ المصراع الأول من كل بيت بالفارسية والمصراع الثاني بالعربية[32].

ويعرض الباحثان في هذا المقام قصيدة له في مدح السلطان علاء الدين الخلجي (1315/715). التي ابتدأها الشاعر بمقدمة غزلية حتى انتهى إلى غرضه؛ يقول فيها بعد التشبيب"[33].

في مهجتي سكنت محبتها كما ... مدح المليك المستعان الأعظم
أعني علاء الدين سلطان الورى ... ملك تولد من سلالة آدم
عين الحيا بل عينه عين الحيا ... يم الندى بل كفه عين اليم
من جوده الفياض قد يحكي إذا ... نعب الغراب على رميم الحاتم
ما كان يعطش سيفه بقرابه ... إلا ويسقي من كؤوس جماجم

الثالث: مولانا شهاب الدين

ذكر شبلي في كتابه "شعر العجم" أن شهاب الدين هو شيخ الأمير خسرو، وقد أفادنا أيضا الأمير خسرو نفسه أن شهاب الدين شاعر هندي عربي جليل، ورأى خسرو أن أشعار شهاب الدين تتفوق على أشعار الفرزدق وجرير[34].

(32) المرجع السابق، ص 239.
(33) المرجع السابق، ص 239.
(34) المرجع السابق، ص 239.

الرابع: الشيخ نصير الدين

لقّب الشيخ بسراج دهلوي، مريد الولي الهندي المشهور نظام الدين أولياء، كان الشيخ مفكرًا عربيًا بارزًا، يقول في مدح شيخه شمس الدين يحيى، في قصيدة تُقَدَّرُ في أوساط الهند، والتي جاء في مطلعها[35]:

سألت العلم من أحياك حقا فقال شمس الدين يحيى

الخامس: القاضي عبد المقتدر ركن الدين الدهلوي (1388/791)

وهو تلميذ الشيخ نصير الدين، وشيخ شمس الدين الدَّوْلَتْآبَادِي. وكان شاعرا، ومن جمال أسلوب أشعاره قصيدته اللامية، ومطلعها[36]:

يا سائق الظعن في الأسحار والأصل سلم على دار سلمى وابك ثم سل
نحيلة بوصال المستهام بها والجود في الخود مثل البخل في الرجل
خيالها عند من يهوى زيارتها أحلى من الأمن عند الخائف الوجل

السادس: أحمد التهانيسري (830هـ)

كان التهانيسري عالما جليلا وشاعرًا ماهرًا، واشتهر هذا العالم في أواخر القرن الثامن وأوائل التاسع الهجريّ، وقد نالت قصيدته الدالية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم إعجابًا وقبولا كبيرين. وقد جاء شعره على النمط العربيّ القديم حيث يربط الشاعر في شعره بين الاستهلال التقليدي عند العرب – الغزل – وبين هدفه الأصلي[37].

(35) Ahmad, Zubaid, 1946 (Reprinted Feb. 1968), The Contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature, Lahore: Sh. Muhammad Ashraf Kashmiri Bazar. 1st Edition, Page240.

(36) أحمد، زبيد، **الآداب العربية في شبه القارة الهندية**، ص 240، 241.

(37) المرجع السابق، ص 242، 243.

السابع: جمال الدين الهانسوي (1260/659)

في كتابه "ملهمات" ما يجمع بين الجمال اللغويّ والملهمة الروحية[38]:

طالب الدنيا جاهل طالب العقبى عاقل طالب المولى كامل
طالب الدنيا مردود طالب العقبى مسعود طالب المولى محسود
طالب الدنيا مغرور طالب العقبى مسرور طالب المولى منصور
طالب الدنيا مغبون طالب العقبى ممنون طالب المولى مأمون
طالب الدنيا هالك طالب العقبى سالك طالب المولى مالك
طالب الدنيا ذليل طالب العقبى جليل طالب المولى خليل

ومن جمال أقواله التي تشير إلى الفرق بين الزاهد والعارف[39]:

الزاهد يطهر ظاهره بالماء والعارف يطهر باطنه من الهدى
الزاهد تارك الدنيا للعقبى والعارف تارك العقبى للمولى
الزاهد يقطع السبيل والعارف بالغ المنزل وترك الرحيل

ومن عذوبة أقواله التي تشير إلى الحكم الصوفية[40]:

إذا ذكر الله افتخر
وإذا ذكر نفسه احتقر
إذا نظر في آيات الله اعتبر
إذا همّ بمعصية أو شهرة انزجر
إذا ذكر الله استبشر
إذا ذكر ذنوبه استغفر

(38) المرجع السابق، ص 127-128.
(39) المرجع السابق، ص 129.
(40) المرجع السابق، ص 129.

الثامن: شاه أحمد شرعي (1521/928)

هو من أهل مَالْوَهْ، قال الشعر بالعربية.

التاسع: محمد عبد العزيز المعبري الكاليكوتي (القرن العاشر الهجري)

وشاعرنا من مالابار، اشتهر في النصف الأخير من القرن العاشر الهجري. نَظَم وصفًا لحروب زامورين ضد البرتغاليين بقيادة فاسكو دي جاما في قصيدة طويلة من خمسمائة بيت في بحر الرجز تحت عنوان "الفتح المبين للسامري الذي يحب المسلمين"، والقصة من بدايتها حتى نهايتها بسيطة ورائعة، منها ما يلي[41]:

فإن هذي قصة عجيبة ... في شرح حرب شأنها غريبة
واقعة في خطة المليبار ... ومثلها لم يجر في تلك الديار
بين المحب المسلمين السامري ... وبين خصمه الفرنجي الكافر
نظمت بعضها ومالك الملوك ... ليسمع القصة سائر الملوك
لعلهم إذ سمعوا يتفكرون ... في الحرب أو لعلهم يعتبرون
لعلها تسير في الآفاق ... لا سيما في الشام والعراق
ليعلموا الهمة السلطان ... السامري المشهور في البلدان
صاحب كاليكوت المشهور ... لا زال من فضل الغنى مغمور
وهو محب ديننا الإسلام ... والمسلمين بين ذا الأنام
ناصر ديننا ومجر شرعنا ... حتى بخطبته على سلطانا

العاشر: زين الدين علي بن أحد المعبري (1521/928)

وله قصيدة جاءت في كتاب "هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء"، يقول فيها:

(41) Ahmad, Zubaid, The Contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature, Page 244.

الحـــمد لله المـوفـــق للـعـــلا حـــمدا يـــوافي بـــره المتكـامـــلا
ثم الصلاة على الرسـول المـصطفى والآل مـــع صـحب وأتبـــاع تـــلا
تقـــوى الإلـه مـــدار كـل سـعادة واتبـاع هـــوى رأس شـــر هـــائلا
إن الـــطريق شـــريعة وطـــريقة وحـــقيقة فاســمع لهـا مـــا مـثلا
فـشـريعة أخـــذ بـدين الخـــالق وقيامـــه بالأمـــر والنهـي انجـــلى
وطريقـة أخـــذ بـأحوط كـالورع وعـــــزيمة كـرياضـــــة مـــتبتلا
وحـــقيقة لوصـــوله للـمقـصد ومـشـاهد نـــور التجـــلي بـانجلا
مـــن رام درا الـــسفينة يركـــب ويغـــوص بحـــرا ثـم درا حـــصلا
فكذا الطـريقة والحقيـقة يا أخـــي مـن غير فعل شـريعة لـن تحـــصلا
من رام أن يسلـــك طـريـق الأوليا فليحفظـن هـــذي الوصايـــا عامـلا

الحادي عشر: السيد علي خان بن معصوم (1805/1117)

أجاد الشاعر في نظم قصيدة بديعية، جاءت ممثلة لكل أنواع المحسنات البديعية، وقد اعترف العلماء بها إسهامًا قيمًا في علم البديع[42]. وقد اشتهر السيد علي خان ناظمًا وناثرًا، وترك مؤلفات كثيرة، منها: "سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر"، و"سلوة الغريب وأسوة الأريب".

وفي الكتاب الأخير وصف المؤلف فيه رحلته من مكة إلى كولكنده في الهند، واصفًا المدن والقرى والسكان والمناخ والماء والهواء والجبال والأشجار والثمار والحيوان والمساجد ومراقد العلماء، ووصف البحار بما فيها من حيوان وأحجار كريمة وغرائب[43]، حيث خرج المؤلف من مكة المكرمة عام 1655/1066 ووصل إلى مقصده سنة 1658/1069، واستغرق تأليف الكتاب ستة

(42) أحمد، زبيد، **الآداب العربية في شبه القارة الهندية**، ص 243.

(43) ينظر: ابن معصوم، السيد علي خان، 1408هـ-1988م، **سلوة الغريب وأسوة الأريب**، تحقيق شاكر هادي شكر، بيروت: عالم الكتب، ط 1.

عشر عاما[44]. ومن الموضوعات الأدبية التي جاءت في الكتاب: شكوى الزمان، بكاء الأطلال، والغربة.

الثاني عشر: السيد عبد الجليل البلكرامي (1725/1138)

اشتهر السيد في عصر أورنك زيب، وألّف أشعارًا بأربع لغات هي العربية والفارسية والتركية والهندية، وشهد له مجموعة من العلماء بعلوّ كعبه ومنزلته في العلم، حيث أجاد في شعر التاريخ الجملي، مستشهدين بذلك بأنموذج من تاريخياته في وصف فتح أورنك زيب لقلعة سِتَارَهْ[45]:

لما توجه سلطان الأنام إلى ... رب السماوات في تأييد إسلام
أقرّ إبهامه في أصل خنصره ... لورد يا قادر افتاح أكمام
فصار حين افتتاح الاسم مفتتحا ... حصنا لمن عبدوا أحجار أصنام
نظرت في الفات وهي أربعة ... من فوق إبهام من غير إبهام
لله تلك يد بيضاء قد بزغت ... للناظرين فيها للمعجز السامي
هذا البديع من التاريخ أنشأه ... عبد الجليل بتأييد إلهام

الثالث عشر: السيد محمد بن عبد الجليل (1771/1185)

هو من أبناء البلكرامي وكان شاعرًا رقيقًا مولعًا بالتلاعب بالكلمات والعبارات[46].

الرابع عشر: السيد طفيل محمد (1738/1151)

الخامس عشر: السيد محمد يوسف (1756/1172)

السادس عشر: السيد غلام علي آزاد (1785/1200)

كان آزاد هنديا أصيلا من أبناء البلكرامي، وهو من أعظم شعراء العربية بالهند، واشتهر شهرة كبيرة بقول الشعر بالعربية، كما نال الأمير خسرو الشهرة

(44) المرجع السابق، ص 200، 201.
(45) المرجع السابق، ص 244.
(46) المرجع السابق، ص 246.

بالفارسية. ترك آزاد عشرة دواوين، وطبعت منتخبات أشعاره تحت اسم "مختار ديوان آزاد"، وله أرجوزة من بحر الخفيف تقع في 3500 بيت، وأنشأ عددًا كبيرًا من المدائح النبوية جمعها في كتاب منفصل سمّاه ـ"تسلية الفؤاد"[47].

وشعر آزاد لم ينتشر خارج الهند، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أحوال العصر آنذاك، حيث لم تتوفر وسائل النقل اللازمة لنشر تلك الأشعار، فضلا عن عدم القدرة على تبادل الثقافات وقتئذ بين الهند والعالم العربيّ، فقد نال شعره العجب من رجال الآداب في مكة والمدينة المنورة حينما وصلت مدائح آزاد إليهم، فقدروها واحترموا صاحبها، ونضرب مثلا على ذلك من الدهشة التي اعترت عبد الوهاب الطنطاوي عقب سماعه قصائد آزاد، حيث قال: سيدي أنت من عتقاء الله[48].

وله قصيدة أخرى بلغ عدد أبياتها خمسة ومئة بيت، وعُرفت باسم "مرآة الجمال"، حيث خصّصها في وصف جسد المرأة بدءا بالرأس وانتهاءً بالقدم، مُخصّصا لكل عضو بيتين من الشعر، ومن نماذج ذلك:

مطلق الحسن

بي ظبيـــة مـــن أبـــرق الحنـــان مـــن مثلهـــا في عـــالم الإمـــكان
شمس تباهـــي بالسنـــا أمـــة لهـــا وكواكب أخـــرى مـــن الغلمـــان

الضفيرة

أضـفيرتان عـلى بيـاض خـدودها أو في كتـــاب الحـــسن سلـــسلتان
أو ليلـتا العيديـــن أقبلتـــا مـــعـــا أو مـن قصـائـدهـــم معلقـــتـــان

(47) ينظر: **حاشية الآداب العربية في شبه القارة الهندية**، ص 247.
(48) المرجع السابق، ص 248.

الجبهة

لله جبهتهـــا المـــضيئة في الـــدجى وهـــب الإلـــه لهـــا علـــو مـــكان
هي نصف بـــدر كامـــــل لكنهـــا تربـو على القمريـــن في اللمعـــان

الحاجب

أبـــصر حواجبهـــا وأدرك كنههـــا غـــصنان منحنيـــان وســـط البـــان
أو كافـــران يشـــاوران ليوقـــعا آمـالنـــا في موقـــع الحـــرمـــان

العين

طرفـــا الحبيبـــة مـــاكران تمارضـــا وتغـــافلا عـــن رؤيـــة الجـــيران
أو نرجسـان على غصيـــن واحـــد وهمـــا بمـــاء مسكـــران نضـــران

السابع عشر: الشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (1762/1176).

الثامن عشر: عبد الرحيم (والد ولي الله الدهلوي) (1718/1131)

التاسع عشر: عبد العزيز بن الشاه ولي الله الدهلوي (1823/1239)

العشرون: الشاه رفيع الدين بن الشاه ولي الله الدهلوي (1833/1249)

الحادي والعشرون: أحمد بن الحسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي (1860/1277م)

ومن نماذج أشعاره[49]:

(49) http://www.albabtainprize.org.

نسيم الصبا

نسيم الصبا وافى سُحَيْرًا مطيَّبا ... فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحبا
كأنك أنفاسُ المسيح بعينها ... فأحييت صَبًّا لم ينلْ قَطُّ مطلبا
فديتُك يا نِعْم الصَّبا خيرَ مَقْدَمٍ ... فكل حَمام حين أقبلْتَ رحَّبَا
تُحاكي لك الأغصانُ بالوجدِ راقصًا ... تضاهي لك الأطيارُ بالسجْع مُطْرِبا
وتنفخ في الأشجار روحًا تُميلُها ... فيا لك ما أزهاك صُنعًا وأعجَبا
أهل جئتَ من تلك الرُّبا برسالةٍ ... فإن الصَّبا نعم الرسول لمن صَبَا

دار سلمى

لسلمى أرانا الله مولايَ دارَها ... عوالمُ حُسْنٍ ما رأينا ديارَها
فإنَّ لها بدرًا يسمّى جبينَها ... وإن لها شمسًا تسمّى عِذارَها
إذا غطّتِ الوجناتِ أقبَلَ ليلُها ... إذا كشَفتْ عنها رأينا نهارَها
هممت بخَدَّيها فمرَّت فنلتُها ... فما خيرُ نخلٍ قد مُنِعنا ثمارَها
فقالت ألا ما كُلُّ سوداءَ تمرةٌ ... تَبَسَّمُ عن دُرٍّ يصفْنَ بحارها

أيام الصبا

تذكّرتَ أيام الصِّبا والليالیا ... نعمْ وأهاج الشوقُ منك القوافيا
إذ العيشُ أشهى ما يكون من المُنى ... وأطيب لذّاتٍ تسوءُ الأعاديا
إذِ الرَّبعُ رَبعُ الخزرجيّةِ آهلٌ ... بِعينٍ كآرامِ أَلِفْنَ المغانيا
مخصَّرةِ الأطراف رَيِّقَةِ اللمى ... رِقاقِ الثنايا بهكناتٍ غوانيا
وجارت بخُلْف الوعد بعد وفائه ... وضنَّتْ بما يُغْري الوشاةَ الأساعيا
كأنْ لم يكن بين الحبيب وبيننا ... عهودٌ ولم نَرْعَ العهودَ المواضيا
فإني فتًى أرعى العهودَ لصاحبي ... وإن لم يكن للعهد منه مُراعيا

روحي فداك

يا من أذاب هواه القلبَ بالأسفِ ... روحي فداك إلامَ السعيُ في تَلَفي
الروحُ في قلقٍ، والجسم في حُرَقٍ ... والجَفن في أرَقٍ، والعين في سَرَف
يا نسمةً نَفَسَتْ لا زلتِ ناعمةً ... قرَّت عيونُك أَصْغِي لحظةً وقِفِي
يا هل تعودُ ليالٍ بالحمى سلَفت ... أضاءَها بدرُ وجهٍ صِينَ عن كلَف
كيف السبيلُ إلى سلمى وجارتِها ... والجسمُ يوشِكُ أن يَفنى من القَضَف

مرابع سلمى

لسلمةَ في وادي العقيقِ مرابعُ ... تراها كأمثالِ العقائقِ تلمعُ
وما منعتْ من حيث عَزَّتْ سلامَها ... ولكنْ لِما أجرَتْهُ مِنّي المدامع
كأنَّ بعيني ممطرًا فهو واكفٌ ... وفي وجهها بَرْقٌ فما زال يلمع
ألا يا نسيمُ اكشِف كِمامَ عِذارها ... فقد طال ما جارت عليَّ المَقانع
أيا حُسْنَ شَعرٍ قد يغطّي خدودها ... فديتُكَ من ليلٍ به البدرُ يلمع

ألا يا نسيم الروض

ألا يا نسيمَ الروض بلِّغْ تحيَّتي ... إلى مَن حياتي عنده أو منيَّتي
لقد عَمَّتِ البلوى لِيَ اليومَ والنوى ... وما طاب حالي من عموم البليّة
تَجِدُّ لِيَ الأحزانُ في كل ساعةٍ ... وما فزتُ منها حيث جَدَّتْ بلذَّة
تقول رجالٌ للزمان تغيُّرٌ ... وما في بليّاتِ النوى من تفاوُت

قيمٌ وعِبَرٌ

يعاقبني بؤسُ الزمان وخفْضُهُ ... وأدَّبني حربُ الزمان وسِلمُهُ
وما المرءُ إلا نهبُ يومٍ وليلةٍ ... تُلِمُّ به شُهْبُ الفناء ودُهمُه
يُعَلِّلُهُ بَرْدُ الحياةِ يمسُّه ... ويَغْتَرُّهُ رَوْحُ النسيم يشُمُّه

ألا إن خـيرَ الـزاد مـا سَـدَّ فاقَـة وخـيرُ بـلادَيَّ الـذي لا أجِـمُّه
وإن الطَّوَى بالعزّ أحسَـنُ يـا فتًـى إذا كـان مـن كـسب المذلّـةِ طُعْمُـه
وإني لأنهى النفسَ عـن كـلِّ لَـذَّةٍ إذا ما ارتقى منها إلى العِرْضِ وَصْمُه
وأُعرِضُ عـن نَيْلِ الثريّا إذا بـدَت وفي نَـيْـلِـهِ سـوء المـقـام وذَمُّـه

الثاني والعشرون: محمد الباقر المدراسي (1805/1320)

له ديوان شعر عربيّ، وله عشر قصائد على غرار المعلقات السبع تُسمّى الكاملة[50].

الثالث والعشرون: مولانا ذو الفقار علي الديوبندي (1322)

نظم شعرًا يتغزل فيه بالمانجو، ويذكر أنواعها وأوصافها، يقول[51]:

إن كـنت تبغـي أطـيب اللـذات فعليـك صـاح بأنبـه الثمـرات
في حـسـن مـرأى في نباهـة سـيرة في لطـف ذات في سـمو صـفات
مـن طعمهـا في كـل قلـب شـهوة فكأنهـا مجـموعة الـشـهوات
يا حسن خضرتها وحمرتها وصفرتها عـلى الأشـجار في الروضـات
لم تختلـف كمثالهـا الأثمـار في ال ألـوان والأذواق والـهيـآت
هـذا ولا تحـسبه صـنفا واحـدا بـل جـملة الأصـناف مختلفـات
سبحان مـن بالفضل فضلها علـى أشـهى مذوقـات ومشـمومـات

الرابع والعشرون: حبيب الرحمن العثماني (1930/1348)

له قصيدة لامية المعجزات (معجزات النبي الكريم) في نحو 300 بيت[52].

(50) ينظر: حاشية **الآداب العربية في شبه القارة الهندية**، ص 24.

(51) ينظر: حاشية، النمر، عبد المنعم، 1410هـ - 1990م، **تاريخ الإسلام في الهند**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، ص 7.

(52) http://www.islam.gov.kw/site/index.php

الخامس والعشرون: الشيخ محمد موسى روحاني بازي (1419/ 1998)

نظم أسماء الله الحسنى، ونظم أسماء النبي صلى الله عليه وسلم[53].

خصائص الأدب العربيّ وسماته في الهند

بعد عرض نماذج من النثر الفني والشعر العربيين في الهند نوّد الآن استخراج بعض خصائصهما في عصور مختلفة، وتلك الخصائص، متمثلة بالآتي:

- ابتكار الصنعة المهملة والصنعة المنقوطة. انتجت الهند تفسيرين جاءا في أصالة وإبداع، حيث خلا كتاب التفسير الأول المعروف باسم"سواطع الإلهام" من الحروف المنقوطة، واستعمل في تفسير "جب شغف" (لعبد الأحد بن إمام علي) الحروف المنقوطة فقط[54].
- ازدهار الأنشطة العربية في الكيفية والكمية في عهد دولة المغول – العهد الثاني (962-1275/1555-1857)[55].

ولع شعراء الهند بالمحسنات البديعية[56]، نحو قصيدة عبد المقتدر الدهلوي اللامية:

يا سائق الظعن في الأسحار والأصل سلم على دار سلمى وابك ثم سل

في البيت جناس بالزيادة بين سلم، سلمى وبين سلم سل، ومراعاة النظير، وصنعة الاشتقاق بين سلم وسلمى، والمقابلة بين الأسحار والأصل.

- براعة شعراء الهند في تأليف الشعر بأكثر من لغة، نحو شاعرنا السيد عبد الجليل البلكرامي الذي نظم الشعر بالعربية والفارسية والتركية

(53) http://www.islam.gov.kw/site/index.php

(54) جب شغف هو تفسير الجزء الأخير فقط من القرآن الكريم. ينظر: أحمد، زبيد، **الآداب العربية في شبه القارة الهندية**، ص 74.

(55) المرجع السابق، ص 43.

(56) المرجع السابق، ص 241.

والهندية، وكان خبيرا في شعر التاريخ الجملي[57]. ومن براعته أنه نجح في صياغة بيت على مثال بيت بديع الزمان، البيت الذي أعجز الشعراء عن الإتيان بمثله في أيام البلكرامي حسب ما ذكر الوطواط[58]. وبيت بديع الزمان:

هو البدر إلا أنه البحر زاخرا سوى أنه الضرغام لكنه الوبل

وأما بيت البلكرامي فهو:

هو القطب إلا أنه البر طالعا سوى أنه المريخ لكنه السعـد

- سبق الهند إلى نوع جديد في فن الشعر العربي، وهو نظم قصائد في وصف أجزاء جسد المرأة بذكر كل عضو في بيتين، ويتجلّى هذا النوع من الشعر في قصيدة "مرآة الجمال" لآزاد[59]، التي تعد حجر الأساس الذي سيستند إليه شعراء العصور القادمة من بعده في بناء مقامات جديدة في مثل هذا النوع من القصائد.
- استعمال البحور الهندية في الشعر العربي، وهي المحاولة الأدبية الجادة التي سعى إليها آزاد في إدخال بعض أنواع البديع الهندي والسنسكريتي[60]، وذكر آزاد أمثلة لكل ذلك في كتابه "سبحة المرجان".

(57) المرجع السابق، ص 244.

(58) المرجع السابق، ص 246، 247.

(59) المرجع السابق، ص 238.

(60) أشار زبيد أحمد إلى أن أثر الشعر السنسكريتي والهندي في الشعر العربي قبل آزاد ضئيل جدا، بل هذا الأثر كان على سبيل التسلية لا المحاولة، وهذا الأثر يظهر في شعر أحد الشعراء في عصر أكبر حيث استعمل البحور الهندية في الشعر العربي، والاستعمال لم يختلف كثيرا عن الأوزان العربية. ينظر: المرجع السابق، ص 251.

- نظم القصائد العربية في كل شكل من أشكال الشعر الفارسي، وهذا ما قام به آزاد، ففي شعره العربيّ كثير من أمثلة ذلك كالرباعي والمثنوي والمستزاد[61]، ويقابل المزدوجة الرجزية في العربية بالمثنوي الفارسي من ناحية القافية[62].
- ابتكار الهند ما عرف بـ "ذي الرؤيتين"، المؤلف من أبيات في لغة يمكن أن يصلح معناها في لغة أخرى إذا عمل تغيير بسيط في النقط والتشكيل، وهذا النوع من اختراعات الأمير خسرو، ومن قوله[63]:

رشيدي نديدي مرادي نجائي رماني بياسي تياري نسائي

والمقصود من البيت هو: يا صديقي المطيع ورفيقي ورجائي ومنقذي، إن منافسة النساء ألقتني في خيبة الأمل، ولو أجرينا تغييرا على النقط والتشكيل بقراءتنا في الفارسية لتغير المعنى، وهو:

رسيدي بديدي مرادي بخاني زماني بياشي بياري بشائي

ويكون المعنى الآن: وصلت ورأيتني الليلة الماضية في حانة، فاجلس لحظة معي تثبت الصداقة أو المودة[64].

- ازدواجية اللغة في القصيدة الواحدة بحيث يأتي الشاعر بالمصراع الأول بالفارسية والمصراع الثاني بالعربية، وقد اشتهر الأمير خسرو بهذا، فقد ألّف قصيدة كاملة على هذا النمط[65]، إلا أنّ خسرو لم يكن أوّل من فعل ذلك، فقد سبقه إلى ذلك شاعر فارسي هو جلال الدين الرومي المتوفى سنة 1273م، ويسمّى هذا الشعر بالملمّع.

---

(61) الترديف عبارة عن كلمة تتكرر بعينها آخر كل بيت، أما المستزاد فهو أن يزاد في عجز كل بيت تفعيلة؛ ينظر: حاشية **الآداب العربية في شبه القارة الهندية**، ص 252.

(62) المرجع السابق، ص 252.

(63) المرجع السابق، ص 215.

(64) المرجع السابق، ص 216.

(65) المرجع السابق، ص 239.

- توجهت الغالبية من أهالي الهند إلى نظم قصائد مخصصة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقد شاعت في آداب المنطقة بكل لغاتها، بما يسمونه "النعت"، وقد نظموا في هذا الغرض قصائد ودواوين كثيرة جدًا[66].
- غلب الاهتمام بالعلم الشرعي على أكثر هؤلاء الشعراء، فمنهم المحدث والمفسر والأصولي والفقيه، ويندر أن نجد من بينهم من غلب عليه الأدب، ومن النوع الأخير تبرز شخصية شيخ الأدب محمد إعزاز علي (1374/ 1955) صاحب "حاشية السحاب الصيب على ديوان أبي الطيب"، و"حاشية الفراسة لمن طالع ديوان الحماسة"، و"نفحة العرب، والواقعات المحيرة للبلاغة العربية"[67].
- كتابة الشعر بلغات أخرى (الأردية والفارسية خاصة) يكاد يكون وصفًا عامًا لجميع شعراء الهند، مع تفاوت مستوى الإبداع لديهم من حيث كونه مطبوعًا أو مصنوعًا من لغة إلى أخرى[68].

الخاتمة

توصل الباحثان بعد دراسة هذا الموضوع دراسة معمقة إلى النتائج الآتية:

1. اهتمام مسلمي الهند باللغة العربية اهتمامًا شديدًا لافتًا للنظر، وسعيهم الحثيث إلى رعايتها بشتى الوسائل المتاحة في عصرهم، إلى هذه الساعة.
2. براعة مسلمي الهند في النثر الفني بجميع أنواعه المختلفة، والمكونة من الخطابة، فالرسائل، ثم الكتابة النثرية البديعة، مشتركين في أسلوبهم مع الزمخشري، وابن خلدون، بل نجد من شعراء الهند من يقارب شعره في جودته أشعار الفرزدق وجرير، أو يفوقها كما يرى الأمير خسرو.

(66) http://www.islam.gov.kw/site/index.php.
(67) http://www.islam.gov.kw/site/index.php.

(68) المرجع السابق.

3. نظم شعراء الهند أشعارهم في أكثر من لغة، تفاوت عددها بين لغتين إلى أربع لغات، متمثلة في العربية والهندية والفارسية والتركية، مثل السيد عبد الجليل البلكرامي، ومنهم من نظم الشعر بثلاث لغات: الهندية، والفارسية، والعربية، مثل مسعود اللاهوري، وكثير منهم من نظمه بلغتين، وهذه الميزة نكاد لا نجدها لدى أدباء العرب قاطبة.
4. ظهور فن جديد في الكتابة والتأليف سمي بـ "بالتصنع الأدبي"، سواء أكان ذلك صنعة مهملة أم صنعة منقوطة، ولا شك في أن هذا الفن يدلّ على أن الكُتّاب استوعبوا اللغة استيعابًا شاملا؛ إذ يحتاج مثل ذلك النوع من التأليف إلى خزين لغويّ هائل، ومهارة عالية في التأليف.
5. تجاوز أدباء الهند الدائرة الضيقة التي لا تتجاوز حدودها الرقعة الجغرافية للأديب، وذهب بعضهم إلى ما هو أوسع منها، فظهر منهم من يحمل رسالة أدبية عالمية، نظر فيها إلى الأدب بصورة أشمل مما نظر إليه الأدباء القدماء، أمثال سفير العالمية أبي الحسن الندوي.
6. الاعتراف بفضل أدباء الهند في إرساء دعائم الأدب الإسلامي ودورهم التأسيسي.
7. فقدان المعلومات حول أكثر الشعر والشعراء في مناطق الهند الجنوبية خاصة، وفي شمالها عامة.
8. إنّ توجه الأدب العربيّ في الهند توجه ملتزم، لأن جميع شعرائهم من العلماء والفقهاء.
9. الابتكارات الهندية الجديدة، المتمثلة في ازدواجية اللغة في البيت الواحد كما جاء في أشعار الأمير خسرو، وإدخال البحور الهندية في الشعر العربي، وذي الرؤيتين.

المصادر والمراجع

باللغة العربية:

1 – ابن معصوم، السيد علي خان: **سلوة الغريب وأسوة الأريب**، تحقيق شاكر هادي شكر، بيروت: عالم الكتب، ط 1، 1408 هـ–1988م.

2 – أبو الليل، محمد مرسي: **الهند: تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها**، دار الاتحاد العربي للطباعة، د. ط، 1965م.

3 – الندوي، أبو الحسن علي الحسني: **المسلمون في الهند**، الهند: المجمع الإسلامي العلمي، ط 3، 1407هـ–1987م.

4 – الندوي، أبو الحسن علي الحسني: **نظرات في الأدب**، دمشق: دار القلم، ط 1، 1408هـ–1988م.

5 – النمر، عبد المنعم: **تاريخ الإسلام في الهند**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، 1410هـ–1990م.

6 – ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص 24.

باللغات الأجنبية:

1 - Ahmad, Zubaid: The Contribution of Indo-Pakistan to Arabic Literature, Lahore: Sh. Muhammad Ashraf Kashmiri Bazar. 1st Edition, Page240, 1946 (Reprinted Feb. 1968).

المواقع الإلكترونية:

1 - http://www.albabtainprize.org.

2 - http://www.islam.gov.kw/site/index.php.

3 - http://www.islamonline.net.